Stop the pigeon

الحمامُ نحن، حين نقنع بفتات الوجود، وحين نقول «خيرٌ من لا شيء» وننحني لسلطان الطيور الأكبر منّا.
كلّ حمامةٍ تولد يمامةً بيضاء أثيريّة؛ ثمّ يحيلها الجهازُ الاجتماعيّ والمحيطُ المدينيّ إلى حمامة عشّ، فحمامة حضانة، فابتدائيّة، فمتوسّطة، فثانويّة، فجامعيّة، وأخيرًا حمامةً بالغةً قذرةً من حمام المدينة.

قبل ستّة آلاف سنة كان البشر يرون عناصر الطبيعة، ولا سيّما الحيوانات والحشرات، غير مختلفةٍ عنهم، بل تجلّياتٍ للأسلاف: طواطمَ ذات خصائص مميّزة، وسحريّةٍ أحيانًا.
وبعد اختراع الزراعة والرعي، بدأ الإنسان يعدّ نفسه فوق سائر الكائنات؛ وعلى مدى القرون التالية حتى اليوم استُخدمت الحيوانات واستُغلّت لأغراضٍ شتّى: من الغذاء (بل اكتشفتْ وجود «جامون الحمام» لكارلو جوستي) إلى الصحبة، ومن العمل إلى الحرب — انظر مثلًا حكاية الحمامة شير آمي التي استخدمتها الفرقة السابعة والسبعون مشاة في الجيش الأمريكيّ، سلاح الإشارة: حدثٌ يبرّر بشكلٍ ما، عند كثيرين وحتى عند سكّان المدن، وجودَ الحمام نفسه، ويفسّر مجيئه إلى الأرض، وغايته بوصفه كائناتٍ متعدّدة الأبعاد، أشباحًا بلا أجساد يستحيل الإمساك بها، كائناتٍ فضائيّة قادرة على التكاثر بانفجارٍ ذاتيّ انتحاريّ يترك جسد الحمامة العجوز مبعثرًا جزئيًّا وممضوغًا جزئيًّا على الطريق، وجسدَ حمامةٍ فتيّةٍ جديدة يحلّق في سماء المدينة.
ويُلاحَظ أنّ أحدًا في المدينة لم يرَ قطّ فراخ حمام، وأنّ أحدًا لن يأكل حمامة مدينةٍ أبدًا، بينما يأكل حمام المدينة كلّ ما يجده.
ولعلّه لأحد هذه الأسباب المتعدّدة أيضًا بدأنا نرى مؤخّرًا حمامًا وحيواناتٍ أخرى تتصنّع البشر، والعكس بالعكس.
وتجد رواجًا متزايدًا عبادةُ حيوانٍ مقلوبة، يمثّل فيها التحوّلُ إلى الحيوان اللاإنسانيّ عودةً إلى الطبيعة.
حمامٌ بيروقراطيّ يرتدي زيّ موظّفي نظامنا المتعفّن، مطابقون مرتّبون يستشهدون بموادَّ قرأوها للتوّ، تروسٌ متحمّسة غافلة عن النظام، كائناتٌ غايتها الوحيدة إطعامُ النظام الذي تشبّثت به لتنجو؛ تأكل فتات السلطة وتتغوّط ابتهالاتٍ من الشكوى.
إنّهم مزيجٌ مروّع بين فوغون دوغلاس آدامز وبيروقراطيّي دوستويفسكي، في ثلاث نسخ، منهمكين في سدّ الطريق على الآخرين بلا انقطاع.
يزقزقون ويثغون ويقرقرون ويشخرون ويصرخون، جميعًا معًا بصوتٍ واحد، محاولين الدفاع عن شرف ماضي الأسلاف الراحلين.
وفي هذه الأثناء، وبسببهم، يمطر الخراء من السماء.
الحمامُ — في لهجة بييمونتي «i piciu»، وفي اللومباردية «i pirla»، وهي نعوتٌ تصف أيضًا الأغبياء والبُلْه والعضو الذكريّ، شأن الطيور عمومًا — استعارةٌ للجنس البشريّ اليوم، الجنس الذي لا يفكّر؛ لكنّها أيضًا حيواناتٌ سحريّة تهدل بحنانٍ وتنظر إلينا متسائلة، ولعلّها ببساطة أسلافُنا: مراقبون طائرون صامتون.
تقول قصيدةٌ لمونتالِه:

Prima di chiudere gli occhi mi hai detto pirla
una parola gergale

non traducibile
Da allora
me la porto addosso
come un marchio che resiste alla pomice
Ci sono anche altri pirla nel mondo
?ma come riconoscerli
I pirla non sanno di esserlo
Se pure ne fossero informati
tenterebbero di scollarsi
con le unghie
.quello stimma

بعض البشر تحوّلوا، حتى غزت رؤوسُ الحمام المدنَ الكبرى؛ وآخرون، مثل جوزيبّه بلفيديري (مسيو بيجون)، يعتنون بالحمام ليحتضنوا أشدّ ما فيهم إنسانيّة.
وعلى كلّ حال، كلّنا حمامٌ لا يمكن إيقافه.

Luca Motolese

motolese.com — النصّ الأصليّ بالإيطاليّة